

241838 - حال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، مع غيرة النساء الطبيعية .

السؤال

هل يمكن أن تذكروا لي بعض الأحاديث التي تدل على علاقة الصداقة والمحبة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقد وجدت حديث سودة عندما أعطت ليلتها لعائشة رضي الله عنهن ، ولكن قرأت أحاديث أخرى تتحدث عن غيرتهن ؟ تزوج زوجي امرأة أخرى قبل 6 أشهر ، وهي عزيزة على قلبي ، ولكن عائلتها التي تتبع العادات والتقاليد أكثر من الشرع جعلت ضرتي تشعر بالسوء ؛ لأنهم يحاولون إقناعها بأني غير سعيدة بوجودها كزوجة ثانية ، وأني أغار منها ، وقد حاولت الحديث مع عائلتها للتخفيف من شدة الموقف ، فلا شيء مما يدعونه صحيح . بفضل الله . ، بل وقد سمعت منهم أن نساء النبي كانوا يتنازعن كما تفعل النساء اليوم . استغفر الله . ولكنهم يريدون أحاديث تثبت حسن العلاقة بين الزوجات ، وهم يقولون : إن حديث سودة لا ينطبق علينا ؛ لأنني أصغر من ضرتي ، فهلا ذكرتم بعض الأحاديث ، مع العلم أنني من المسلمات الجدد ، ولغتي العربية ضعيفة .

الإجابة المفصلة

لا شك أن الرباط الذي كان ينظم العلاقة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : هو رباط الأخوة الإيمانية ، والمحبة في الله ، وهذا هو الأصل الذي ينبغي أن يجمع المؤمنين عامة ؛ ثم يزيد على ذلك : قربهم من نور النبوة ، ومهبط الوحي والرسالة ؛ ولذلك : كان الورع وتقوى الله هو العاصم من الفتن ، والحكم في مواطن الزلزلة ، والاختبارات الصعبة .

وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم الضرائر أخوات ، فروى مسلم (1408) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةَ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِيَ صَحْفَتَهَا وَلِتُنكِحَ ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهَا) .
فكيف بالأخوة التي كانت بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم !؟

لقد كان الورع وتقوى الله ، هو القاعدة الصلبة التي تنكسر عندها : رغبات النساء الطبيعية، وغيرتهن ، وتنافسهن في الزوج الواحد ؛ فلم يكن الشيطان يطمع أن يظفر من بيت النبوة، بمكيدة توقع في بلية ، وحاشاهن من ذلك كله ، وهن الطاهرات المطهرات .

قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، فَقَالَ : (يَا زَيْنَبُ ، مَا عَلِمْتَ ؟ مَا رَأَيْتِ ؟) ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا حَيْرًا " قَالَتْ عَائِشَةُ : " وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ " .
رواه البخاري (2661) ، ومسلم (2770) .

قال النووي رحمه الله :

" قَوْلُهَا: " أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي " أَي: أَصُونُ سَمْعِي وَبَصْرِي مِنْ أَنْ أَقُولَ سَمِعْتُ وَلَمْ أَسْمَعْ ، وَأَبْصُرْتُ وَلَمْ أُبْصِرْ .
قَوْلُهَا: " وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي " أَي تُفَاخِرُنِي وَتُضَاهِينِي بِجَمَالِهَا وَمَكَانِهَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ
مُفَاعَلَةٌ مِنَ الشُّمُوِّ وَهُوَ الْإِزْتِفَاعُ " .

انتهى من " شرح النووي على مسلم " (113 / 17) ..

وقال الحافظ رحمه الله :

" فِيهِ ذُبُّ الْمُسْلِمِ عَنِ الْمُسْلِمِ ، خُصُوصًا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَرَدَّعَ مَنْ يُؤْذِيهِمْ وَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ بِسَبِيلٍ " انتهى من
" فتح الباري " (479 / 8) .

وروى البخاري (2581) ، ومسلم (2442) عن عَائِشَةَ قَالَتْ: " أَرْسَلَ أَرْوَاحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ
جَحْشٍ ، رَوْحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ . وَأَثَقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا ، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ،
وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، مَا عَدَا سُورَةَ مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا ، تُسْرِعُ
مِنْهَا الْفَيْئَةَ " .

فلم تمنعها مساماتها من حسن الثناء عليها بما هي أهله .

ولا يمنع ذلك كله أن يحدث بينهن ، رضوان الله عليهن جميعا ، ما يحدث بين النساء البعيدات من الغيرة الطبيعية ،
فكيف بمن كن ضرائر عند رجل واحد ؛ فكيف إذا كان الرجل الذي يجمعهن : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أشرف الخلق قاطبة !؟

عن عروة بن الزبير : " أَنَّ عَائِشَةَ رَوْحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ
مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا ، قَالَتْ فَغَرْتُ عَلَيْهِ ، فَجَاءَ ، فَرَأَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ : (مَا لِكَ يَا عَائِشَةُ ؛ أَغْرَتِ ؟) .

فَقُلْتُ : وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ ؟!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَقْدُ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ ؟)

قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ ؟

قَالَ : (نَعَمْ) .

قُلْتُ : وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ؟

قَالَ : (نَعَمْ) .

قُلْتُ : وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ : (نَعَمْ ؛ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ) .

روى مسلم في صحيحه (2815) .

قال السندي رحمه الله :

" قَوْلُهُ (فَقَالَ قَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ) أَي فَاوْطَقَ عَلَيْكَ أَتَى قَدْ ذَهَبَتْ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِي فَأَنْتَ لِذَلِكَ مُتَحَيِّرَةٌ مُتَفَتِّشَةٌ عَنِّي " انتهى من "حاشية السندي على النسائي" .

إن من ينفي وقوع الغيرة بين التقيات من الضرائر، لم يعرف طبيعة النساء، وما جبلهن الله عليه؛ لكن المقصد: أن الورع، وتقوى الله، يمنع غائلة ذلك، ويعصمهن عن البغي والفساد.

وروى أبو داود (3931)، وأحمد (26365) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " وَقَعْتُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُضْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، أَوْ ابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مُلَاحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ ، قَالَتْ: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابَتِهَا ، فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ ، فَرَأَيْتُهَا : كَرِهْتُ مَكَانَهَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ . فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، وَإِنِّي وَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَإِنِّي كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَهَلْ لَكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ؟) .

قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: (أَوَدِّي عَنْكَ كِتَابَتِكَ وَأَتَرَوُجُكِ) ؟

قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ .

قَالَتْ: فَتَسَامَعٌ - تَعْنِي النَّاسَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَرَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ، فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ ، فَأَعْتَقُوهُمْ ، وَقَالُوا: أَضْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !! فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَتَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا ، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةٌ أَهْلٍ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُضْطَلِقِ " .

حسنه الألباني، وكذا حسنه محققو المسند .

فمع كونها غارت منها أول ما رأتها، ووصفتها بالبركة على قومها .

ولقد كانت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة لنسائه، عاملا زائدا، من عوامل القرب بينهن، والإلطاف لسائرهن، فلا يبعد عن الواحدة، حتى تأتي نوبتها، بما يوحشها، ويزيد الغيرة في نفسها، بل كان يجتمع بهن جميعا، كل ليلة :

روى مسلم (1462) عن أنس، قال: " كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُ نِسْوَةٍ ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ ، لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ ، فَكُرِّجَتْ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ يَا تَيْهَا " .

وقالت عائشة رضي الله عنها : " قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا ، فَيَدْتُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيَسٍ ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى النَّبِيِّ هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا " .

رواه أبو داود (2135)، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " .

قال القرطبي رحمه الله في " المفهم " (13/90) :

" وإنما كان يفعل ذلك تأنيساً لهنّ ، وتطييناً لقلوبهنّ ؛ حتى ينفصلَ عنهنّ إلى التي هو في يومها ، ويتركها طيبة القلب " انتهى .

قال النووي رحمه الله :

" في هذا الحديث ما كان عليه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حُسنِ الخُلُقِ ومُلاطَفةِ الجَمِيعِ " انتهى من " شرح النووي على مسلم " (48 /10) .

وروى البخاري (4793) ، ومسلم (87) عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: " بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَبِيبِ بِنْتِ جَحْشٍ بِحُبْزٍ وَلَحْمٍ ، فَأُرْسِلَتْ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهُ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ ، قَالَ : (اذْفَعُوا طَعَامَكُمْ) وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ) ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ اللهُ لَكَ ؟ فَتَقَرَّرَى حُجْرَةَ نِسَائِهِ كُلَّهُنَّ ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ .

(تَقَرَّرَى حُجْرَةَ نِسَائِهِ كُلَّهُنَّ) أَي: تَتَبَعَ الْحُجْرَاتِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً

ولفظ مسلم : " ... فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ ، فَيَسَلُّمْ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ؛ كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ ؟) فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ فَيَقُولُ: (بِخَيْرٍ) " .

قال القرطبي في " المفهم " (13/15) . ترقيم الشاملة .:

" فدورائه على حُجْرَةِ نِسَائِهِ تَفَقُّدٌ لِأَحْوَالِهِنَّ ، وَجَبْرٌ لِقُلُوبِهِنَّ ، وَاسْتِدْعَاءٌ لِمَا عِنْدَهُنَّ مِنْ أَحْوَالِ قُلُوبِهِنَّ ؛ لِأَجْلِ تَزْوِيجِهِ ؛ وَلِذَلِكَ اسْتَلَطَّفَتْهُ بِقَوْلِهِنَّ لَهُ : كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ وَصَدُورُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ عَنْهُنَّ فِي حَالِ ابْتِدَاءِ اخْتِصَاصِ الصَّرَّةِ الدَّاخِلَةِ بِهِ ؛ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ عَقُولِهِنَّ ، وَصَبْرِهِنَّ ، وَحُسْنِ مَعَاشِرَتِهِنَّ ، وَإِلَّا فَهَذَا مَوْضِعُ الطَّيِّشِ ، وَالخِفَّةِ لِلضَّرَائِرِ ، لَكِنَّهُنَّ طَيِّبَاتٌ لَطِيبٌ " انتهى .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، ربما يقع عنده الأمر من ذلك ، والبادرة من تلك البوادر ، فيذهب سورتها وحدثها ، بحكمته ، وعدله ، وقسطه ، صلى الله عليه وسلم :

روى البخاري (5225) عَنْ أَنَسِ ، قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأُرْسِلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتِ اللَّيْلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَأَنْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَّ الصَّحْفَةَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ: (غَارَتْ أُمَّكُمْ) ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّيْلِ هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى اللَّيْلِ كَسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ اللَّيْلِ كَسِرَتْ " .

وكان صلى الله عليه وسلم ، ربما مزج بذلك القسط ، شيئاً من اللطف ، والفكاهة ، فحال الأمر إلى طيب وبشر ، بعد ما كاد يكون حدة ، أو منافرة :

روى أبو يعلى في مسنده (4476) عن عائشة قالت: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحزيرة قد طبختها له ، فقلت لسودة . والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها . : كُلي ، فأبت ، فقلت: لتأكلن أو لأطحن وجهك ، فأبت ، فوضعت يدي في الحزيرة ، فطليت وجهها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده لها ، وقال لها: (الطخي وجهها) ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لها ، فمر عمر ، فقال: (يا عبد الله ، يا عبد الله) ، فظن أنه سيدخل ، فقال: (فوما فأغسلاً وجوهكما) . "

قال الحافظ العراقي رحمه الله في "تخريج الإحياء" (3/160) : "إسناده جيد" ، وحسنه الألباني في "الصحيحة" (3131) .

ثم إن بقي في النفوس شيء من ذلك ، شأن نفوس البشر ، فهو إن شاء الله : في محل العفو والمسامحة منهن : وروى ابن سعد في " الطبقات " (79 / 8) ، وابن عساکر في تاريخه (152 / 69) عن عوف بن الحارث قال: سمعت عائشة تقول : " دعني أم حبيبة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - عند موتها ، فقالت : قد كان يكون بيننا وبين الصرائر ، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك . فقلت: غفر الله لك ذلك كله ، وتجاوز ، وحللك من ذلك . فقالت: سررتني سر الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك " .

وحاصل ذلك كله :

أن المطلوب من المؤمن ، والمؤمنة في مثل ذلك ، وفي الأمر كله : ألا ينساق وراء طبائع النفوس ، أو أهوائها ، بل يجعل تقوى الله هو العاصم له من البغي والعدوان ، ويجعل الرباط بينه وبين عباد الله المؤمنين : الأخوة في الله ؛ والله جل جلاله لم يمدح عباده المؤمنين بالعصمة عن دواعي الهوى ، بل مدحهم بمخالفة أهوائهم ، ومجاهدة نفوسهم في ذات الله ؛ قال الله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) النازعات/37-41 .

وينظر السؤال رقم : (193041) .

والله أعلم .